تاريخ جثة

منذ البدء

الفجر فراشات بيضاء
خرجت من شرنقة الحب
من بين الخفقة والجنب
من بين الحجرين ارتفعا بالمنزل
من بين الحلمة في ندي الام الحاني
والطفل
من بين عتاب صديقين التقيا بعد غياب
من بين الكلمات الاولى وشفاه الاحباب
من بين الظلمة والعين المقتربة
من بين ضلوع السائق والعربة
من بين الحزن النابت في حقل القمح
وحنين الارغول
من بين محطة بدء ممكنة ووصول
من بين بيوت الموتى
وقبور الاحياء
خرجت في صيحته الاولى الاسماء
العدل . الحرية
كفراشات بيضاء
ليظل دهورا يحلم ان تخضر الصحراء
أن تحمل موجات الذكرى أزهار الماء
ليظل دهورا يشقى
كي ينزع من بين مخالب ريح
ذاكرة للاضواء .

النار أو شهادة الميلاد

من سرق النار ؟
الصاعد نحو القمة ..
أم ذاك الهابط نحو الاسرار ؟
الصامت والمدثر بالاشعار ..
ذو البدن الصخري ؟
أم من ينزف من رئتيه جرح الاقدار ؟
من سرق النار ؟
المجهول أم المختار ؟
الباكي أم من أدمعه أحجار ؟
... كان الليل عجوزا يحلم بالاقمار ..
والهمسات انبثت كالخضرة في الاشجار
وسؤال تقذفه الشطآن الى الشطآن ..
عن هذا الساكن موج البحر ..
والمقهى ..
والمستشفى ..
والجامع ..
والحقل وأكواخ الثوار !
عن هذا الساكن روح الصلب ..
وأغاني الآلام ..
وذاكرة الرب !
عن هذا المستيقظ ..
الناهض كالشجرة ..
الضارب كالمجذاف ..
الآمل كالشمعة تحت المذبح ..
الكاسر كالرخ ..
المصلوب على مائدة التجار !
من سرق النار ؟!

اللص

وحين أمسكوه
ذهبت كي أراه ..
من بين زحمة الجموع علقت عيناه بي
الطائران يذبحان فوق ثوبي ..
وفوق ثوبي لم أجد آثار دم ..!
النظرات تتهم ..
لست أنا !
ـ أنت ؟..
ـ هو ؟..
وحين أمسكوه ..
أشرقت الشمس كمومس عجوز ..
لم ينفع الطلاء والاصباغ
ما زال فوق وجهها الغضون والحزوز
وحين أمسكوه
هبت نسائم رخية
هزت ستائر السرير
في غرفة الاميرة ..
واخضر في عيونها بستان
أواه ، يا لحزن ذلك الكمان !
وأطلق الامير ضحكة صغيرة
وهو يدير مفتاح الجهاز ..
لكن ضحكته
سرعان ما هوت للارض بقعة صفراء ..
وأطرق المساء
والصوت يعلن النبأ ..
لكنه حين أرانا وجهه
رأيت حفرة مكان دمعته
لست أنا
أنت
هو
الذين أمسكوه ..
وعادت البسمة للوجوه !!

شهود الاثبات

الشمس :

يا سادتي القضاة ..
نعم . نعم . رأيته بأعيني الخمسة
يسرق صورة من على جدار سجن
رأيته خلسة
وكنت أحترق
على نحاسة الحزام حـــول خصر
العسكري السمين
أكاد أن أجن !
القمر :
وفي المساء ..
رأيته يسرق عظم الموتى ..
وينهب المقدسات ..
ومثل خنجر علا سلاحه الصدأ
كنت وحيدا ..
أصرخ طالبا يد الصديق ..
ترفع عني زمنا قد اتسخ ..
وتبعث البريق !
ويل الذي سيفتح العيون ..
ويل الذي يراني !
لكنه رماني
في زاوية الطريق
وسار مغمض العينين

انتظرته خلف حجر
واذ به من جانبي يمر
أسقطت نفسي عمداً في قاع نهر
واستغثت بالمشاه ..
توقفوا جميعهم عداه .
صب على شعاعي اللعنات
وسار يرفع الصوتا !

الريح :

أما أنا فكنت أستريح
على سلالم المنازل
حين رأيته يغازل
خادمة السلطان !
فثرت في عواء عشرة من الكلاب !
لم يهرب الجبان . واستدار
قطعني أعشاراً ..
يا سادتي الاخيار ..
دمي على يديه شاهدي !

شهود النفي

شمس أخرى :

أحبني . أحبني . أحبني .
في القرب والغياب !
أنا مناقير الضياء تطرق الابواب
وتفتح الكوى
في بيضة العصفور
والبرعم والسنبلة الخضراء .
أنا الصبية الحسناء
خلعت ثوبي البرتقالي على الصباح ..
عارية سبحت في بحيرة الاهواء ..
وحينما أتى ..
منكس الرأس ..
مخضب الوشاح ..
يحمل فوق ظهره أقداحه الظماء
ملأت من دمي له الاقداح ..
ولم تمس شفتاه شيء !
مضى كأنه ..
هذا الذي « جاء ولم يجيء ! » .
لكنني رأيته ..
حين نهضت في الظهيرة
ركزت رمحي الناري فوق الارض
خيطا من الدماء ،
عند بيوت كالدمى ... صغيرة !
تكاد لا تحصى ولا تعد !
سألت أهل هذه البلد ..
وليس من مجيب ..
لكنني رأيت في عيونهم شيئا غريبا
استجد
كأنه ..
دمي السكيب في الاقداح ..
سألت عنه ..
جاءني صوت الرياح ..
أين صاحبي الذي يموت من عطش
وغنوة شبيهة بي وأنا
في غفوة الظهيرة ..
أرتاح عند كوم قش .

قمر آخر :

فقط لدي كلمتان ..
صاحبكم ـ عفوا ـ غريبكم
هو الذي كلمني
حين احتجبت في الليالي السبع ..
هو الذي ذوّب بالدموع من ساقي
قيد الشمع
هو الذي يحفظ بالمحبة الاسطورة ..
هو الذي يهدم بالمحبة الاسطورة ..

الريح أيضا :

أنا التي فعلت كل شيء
وما فعلت أي شيء !
ولِمَ تلوموني ..
لن تستطيعوا ـ ان أردتم ـ موتكم
دوني ..
خلقت هكذا ..
وهكذا منحت سكّري وليموني
أنا التي أثرت في فراشكم زوابع ..
نثرت في أحلامكم ضفادع
أقمت في أقدامكم موانع ..
فأقدموا ..
ولتذبحوني ان رأيتم جيدي
وحاولوا تشريدي ..
أنا التي تشردت في يوم حزنكم وفرحكم
أنا التي تشردت منذ بداية الدهور ..
بَنَتْ وهدّمَت في سيرها
مائة عالم مسحور ..
أما هو ..
فليس الا طفلي الصغير
يكاد لا يعرف أن يسير !

قائمة الاتهام

مادة ١ : الدم
مادة ٢ : اللحم
مادة ٣ : العظام .
اللحم والدم والعظام ..
جريمة في هذه الايام ... فالاسعار
ارتفعت ..
وانخفضت منازل التجار
حتى لتنحني الرؤوس
تحت سقوف البيت ذي الطوابق العشرة
وتملأ الحسرة
بقية القلوب من شراذم المجوس !
ويل الذي لا يستطيع أن ينام ،
في هذه الايام ..
لسوف تغتال الخيال من دماغه
عقارب المنبهات ..
ويل الذي يصحو ويسمع الاصوات
حين تموت الذاكرة ..
وتقذف الرياح بالثمار العفنة ..
الى مصارف المياه في ضواحي القاهرة !
ويل الذي ينسى
ويل الذي لا ينسى ..
هذا الصباح فوق صلبان الجرائد ..
هنا ، هناك ، أينما تموت او تجاهد !
هذا الصباح ..
منجم ماس حوله اللصوص والحراس
يقتسمون الانصبة ..
وغابة المطاط تنتظر ..
ومن عيونها الملتهبة ..
يخرج صبح آخر مسلح ..
صبح الذين يقتاتون من سواقط
الثمار ..
والسمك المملح .
جريمة اللحم ..
الدم والعظام .
لست أنا
أنت
هو
لكننا اقتسمنا حين أمسكوه
الخبز والعذاب والاحلام !

القاهرة — **شوقي خميس**